ويوم ارتكضنا شمالا / كما كنا ارتكضنا لجنوب / وتركنا المياه المقدسة / يلوثها المغتصبون / يلوثها أكثر الاخصياء .

...

يوم تركنا الديار / ولم نحمل معنا / سوى الذكريات ، والمخاوف والمناشل ، / وقام بين الديار وبيننا / سيف مديد عنيد .

...

عرفت ان عهد التيه استهل / ولا بعد أمان، / ان كل قطر معاد / وكل بحر قد نشف / وكل خيط قد انقطع.

وفي قصيدة سابقة (القصيدة الرابعة عشرة في «القصيدة ك») يتذكر توفيق بيته الذي بقي وراءه في وطنه ويندب وضعه الحالي منفيا ولاجئا فيقول :

تشققت قدماي أبلاني العراء . / ومقاعد البارکات تركت / ترب أضلعي أضلعا جددا . / نظر لي الشرطة شزرا / وتجرجرت من مكان لمكان ، / معدما ، الا / من ذكريات طوال النهار لمنزل / كان لي بالامس / بالامس وحسب ، / وفي العشايا / من رؤى / لسكناي فيه من جديد ، / توقظني / لاهجا (لا أغفر) / بمن (لاأستطيع اللعن) / شردني .

لا يحصر توفيق نفسه هنا ، كما في كثير من قصائده ، ضمن حدود المعنى الظاهر للنفي المادي من فلسطين . فعلى الرغم من انه قد يتكلم عن اللاجئين العرب الفلسطينيين ولاجئي الشعوب المقهورة الاخرى في القرن العشرين المتميز بظاهرة اللجوء فانه يمكننا فهم قصيدة توفيق بمعنى اخر . فهو يتحدث من الناحية الرمزية عن الانسان الحديث الذي كتب تاريخه بالنار والذي تطارده قوى الشر من المياه المقدسة ليحيا في منفى عن الله . فهو يعاني في تلهفه للعودة الى يسوع الشاب الذي يحمله الى وطنه الالهي .

ويجد سعي الانسان الحديث الى الخلاص الروحي في ملكوت الله صورته في قصيدة رمزية اخرى هي القصيدة رقم ٢٤ من مجموعة « القصيدة ك » حيث يفقد الشاعر ، وهو المسافر بدون جواز سفر، الامل في دخول ملكوت الله أبدا مثلما فقد الامل اطلاقا بالعودة الى فلسطين المحتلة . انه يشعر نفسه وكأنه على ظهر سفينة ترسو في ميناء بعد اخر دون ان يسمح له بالنزول على ظهرها لانه لا يملك جواز سفر. ينزل مسافرون ويصعد اخرون وهو يبقى على متن السفينة يمنعه باستمرار عملاق من النزول في ميناء وجهته. وتأتي لحظة ينادي عندها بصوت حزين شجي :

« أوراقي سليمة / في كل جيب شهادة ، / لماذا لم يصدروا لي جوازي ؟ / ماذا وشى بي ؟ من وشى ؟ / ما تهمتي / فأدفع تهمتي ؟ / وليس في اليم سفارات » . / « وما سفارتك ؟ » / « كنت أعرفها / أرتادها في كل مناسبة : / نسيت نسيت / ما سفارتي » .

لم يكن شعر توفيق بشأن الوطن شعرا حماسيا انفعاليا في لهجته ، وذلك على عكس الكثير مما نشر من الشعر في هذا الوقت . وبما ان الوطن في شعر توفيق لم يكن محدودا ضمن مفهوم جغرافي فانه شمل الثقافة والحضارة العربية ككل . لقد أحزنه حزنا شديدا وحز في نفسه ان يرى العالم العربي يتلكأ خلف الامم الاخرى ويتقسم على نفسه ويهدر طاقاته او يخضع لحكم يحرم الفرد من حريته التي هو بحاجة ماسة اليها اذا كان ليساهم في بناء وطن عربي حديث . ونظر توفيق الى الامجاد العربية الغابرة فصعب عليه ان يصدق انهم وصلوا الى الحالة المتدنية التي هم فيها الان . ولكنه يعكس اعتقاده بذلك ليقول في مجموعته « ثلاثون قصيدة » قصيدة بعنوان « نشيد وطني » :

أحقا عرفت صبيا / وحقا أثار الفتنة / اصطخاب ردفيك في الشباب ؟ / أحقا ترأست المنتدى / وكرست